كلية دار العلوم

كلية دار العلوم
قسم الدراسات الأدبية

(شعر مرسى شاكر الطنطاوى)
"دراسة فنية"

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدراسات الأدبية

إعداد الباحث/
كمـــال كمـــال عرفـــة حسين

تحت إشراف الأستاذ الدكتور/
عبد الرحمن حسن عبد الرحمن الشناوي

أستاذ الأدب العربي المساعد بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة

١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

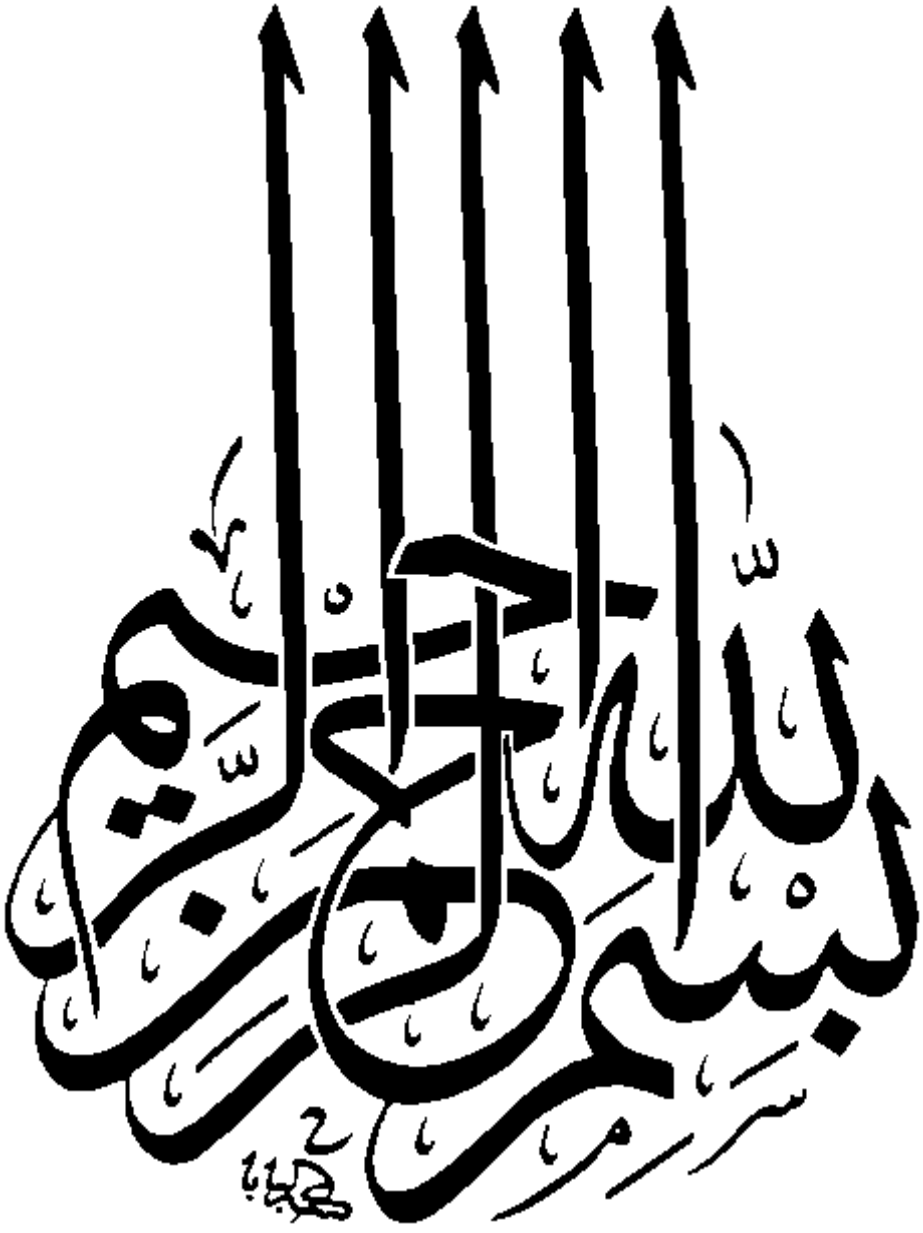
بسم الله الرحمن الرحيم

«إِنِّي رَأَيتُ أَنَّهُ لاَ يَكْتُبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا فِي يَوْمِهِ إِلاَّ
قَالَ فِي غَدِهِ: لَو غُيِّر هَذَا لَكَانَ أَحْسَنَ، وَلَو زِيْدَ
كَذَا لَكَانَ يُسْتَحسَنُ، وَلَو قُدِّم هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ،
وَلَو تُرِكَ هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ،
وَهوَ دَلِيْلٌ عَلَى اسْتِيْلاَءِ النَّقصِ عَلَى جُمْلَةِ الْبَشَرِ ...»
عبد الرحيم البيساني
المعروف بـ
القاضي الفاضل
(٥٢٦هـ - ٥٩٦هـ)

(الشكر والعرفان)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"، لذا وجب علىَّ أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى من تعهدني برعايته وفضله، أستاذي العزيز والأب والعالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الرحمن حسن عبد الرحمن الشناوي، أستاذ الأدب العربي المساعد بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة؛ فقد كان نعم المعلم والمُوجه ؛ كان يوجه وينصح في تواضع جم، تواضع العلماء الخالدين ؛ فكم غمرني بعلمه وبخلقه وبنصحه وبكرمه وبسعة ورحابة صدره، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أدعو الله تعالى أن يُبارك في عمره وولده وأن يُمتعه بالصحة والعافية ويزيده علما إلى علمه ويرفعه إلى الدرجات العلا، إنه على كل شيء قدير.

كما يزيدني شرفا وعلما أن يتكرم ويتفضل بتوجيهي ونقدي أستاذنا الغالي العالم الجليل، الأستاذ الدكتور أيمن محمد علي ميدان، أستاذ الأدب العربي، بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، والمُشرف على قسم الدراسات الأدبية، ووكيل الكلية لشئون الدراسات العليا والبحوث، بارك الله في عمره ومتعه بالصحة والعافية، وجزاه عني خير الجزاء ورفعه إلى أعلى الدرجات.

كما أتوجه بالشكر والعرفان والتقدير إلى الأستاذ الدكتور أحمد حلمي إبراهيم حُلوة، أستاذ الأدب العربي بأكاديمية الفنون؛ لما تجشمه من عناء قراءته بحثي وتوجيهي ونقدي، جزاه الله عني خير الجزاء ومتعه بالصحة والعافية وبارك في عمره.

إهـــــداء

إلى .....

إلى أبي وأمّي:

في عالمهما الآخر - ليتها تصل -

إلى أساتذتي جميعا:

إلى كل من قدَّم لي يد العون:

إلى

إخوتي وأسرتي وأصدقائي وزملائي،

جزاهم اللّه عني خير الجزاء.

مقدمة:

الحمد لله على نعمة البحث، فبها نعرف الجديد، ونستوثق مما نريد، فنتحقق ونعلم، ونتعلم، ونسهم بقدر طاقاتنا في ميادين العلم المختلفة، وصلاة وسلام على سيدنا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– صلاة تليق به، وعلى سائر المرسلين أجمعين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وشكر لا ينقطع لعلمائنا الذين تعلمنا ونتعلم من علمهم، ودعاء لا ينتهي بالرَّحمة لآبائنا الذين سبقونا إلى خير لقاء، لقاء الله عز وجل، أمَّا بعد:

فسوف يتناول هذا البحث النتاج الشعري لمرسي شاكر الطنطاوي، ذلك الشاعر الذي لم ينل حظه من حقل الدراسات الأدبية رغم ما خلفه من نتاجٍ يستحق الدرس منذ زمن بعيد؛ فالمطالع للسيرة الذاتية لمرسي شاكر يجده قد عاصر فترة مهمة وليست بالقصيرة من تاريخ مصر، فقد عاصر العديد من حكام مصر من الأسرة العلوية، بدءا من الخديوي توفيق، وانتهاءا بالرئيس أنور السادات، الذي عاصر من حكمه حوالي ثلاث سنوات.

ونحن نعلم أن هذه الفترة التاريخية الممتدة من عمر مصر كانت مزدحمة بالأحداث الجسام: كالا حتلال الإنجليزي، ومقاومة المصريين له، وما مرَّ على مصر وأبنائها من أحداث عصيبة كمحاكمة دنشواي، والرغبة في الاستقلال، وظهور زعماء شعبيين، واندلاع ثورتي تسع عشرة، واثنتين وخمسين، والمجتمع، وهمومه، وجلاء الاحتلال عن مصر، والاتجاه نحو التنمية، وتصاعد حركات التحرير في الدول العربية، ومساندة مصر الدائم لها، فضلا عن دورها الداعم لفلسطين منذ بداية أزمتها، ذلك الدعم الذي لم يتوقف.

كل هذا ولا شك أثر في مرسي شاكر الطنطاوي الشاعر، فألقى بظلاله على شعره مديحا، ورثاء، ووطنية متأججة، ومجتمعا نابضا بالحياة في أبياته.

وإذا ما انتقلنا إلى الحياة الشعرية آنذاك وجدناها حياة زاخرة بالشعراء الكبار، والحركات المتعددة، فنجد البعث والإحياء، أوالمحافظين البيانيين، والديوان، وأبولو الذي كان الطنطاوي أحد مؤسسيها، إلخ، كانت هذه هي الحياة الشعرية التي عاشها شاعرنا، وأسهم فيها.

كما كان ذا ثقافة واسعة ومتعمقة، متعددة الروافد، فقد كان يتمتع بثقافة عربية، ممعنة فى اللغة وأسرارها، وثقافة تاريخية واعية، بتاريخ مصر في مختلف عصوره، وثقافة متعمقة في ثقافات اللغات الأخرى، تلك الثقافة التي بدت بوضوح في موضوعاته، ولغته، وصوره، والتي جعلته أيضا شاعرا ذا رؤية ثاقبة، ووجهة نظر ناقدة.

لا شك أن الحياة التي عاشها مرسي شاكر الطنطاوي السياسية والاجتماعية والأدبية، والثقافة الواسعة التي كان يتمتع بها، والشاعرية القوية، قد خلفت لنا نتاجا شعريا يستحق الدرس الأدبي وأن يعطى ما يستحقه من مكانة هو أهل لها.

أما عن منهج الدراسة فكان المنهج الوصفي التحليلي بما يقتضيه من تتبع الموضوع ووصفه ومعالجته وتحليليه.

أما عن الدراسات السابقة فمن الغريب خلو حقل الدراسات الأدبية من دراسات تتناول شاعرنا ونتاجه؛ إذ خلا الدرس الأدبي من أي عمل يتناول شعر مرسي شاكر الطنطاوي باستثناء ما قام به الأستاذ الدكتور هشام محمد البيه من جهد مشكور حين خصَّ مرسي شاكر الطنطاوي بدراستين في عام ألفين وأربعة، تناول في واحدة منهما القصة في شعره، والتي توجد في ديوان واحد من دواوينه، وهو: صحائف الدمع، وقد حملت هذه الدراسة عنوان: القصة في شعر مرسي شاكر الطنطاوي رؤية تحليلية فنية.

أما الدراسة الأخرى فقد تناولت مطولات الشاعر الإسلامية، وهى ثلاث مطولات، جاءت كلٌّ منها في ديوان: فتح البديع في مدح الشفيع، شهادة الأيام في قضية الإمام، مسرح العين في موكب الحسين، وهذه الدراسة بعنوان: المطولات الإسلامية في شعر مرسي شاكر الطنطاوي دراسة تحليلية فنية.

لقد كان للدكتور هشام السبق بهاتين الدراستين، وهو بلاشك جهد مشكور، لكن ليست هذه الدواوين الأربعة كل ما تركه مرسي شاكر الطنطاوي، فقد ترك أكثر من ذلك بكثير، فمما وقفت عليه مما لم يدرس:

١- ديوان سوانح الفراغ بتاريخ ١٩١٦م.
٢- ديوان أغانى الشباب بتاريخ ١٩٢٣م.
٣- نحب الملك بتاريخ ١٩٢٦م.
٤- ديوان الملك بتاريخ ١٩٣٣م.
٥- قلينى باشا فهمى فى مرآة التاريخ بتاريخ ١٩٣٣م.
٦- صحائف الدمع ١٩٣٥م.
٧- جلالة الملك فاروق ١٩٣٨م.
٨- تحية العام الهجرى الجديد١٩٣٨م.
٩- فلسطين ١٩٥٩م.
١٠- الميثاق ١٩٦٣م.
١١- موقعة بور سعيد د.ت.
١٢- نفحات الربيع د.ت.

فمما لا شك فيه أن هذه المستجدات تحتم إعادة درس هذ الشاعر لذا قمت بعمل هذه الدراسة التي تناولت المتاح من نتاجه الشعري إضافة إلى الدواوين الأربعة السابق دراستها والتي لا تزال تحتاج إلي مزيد من الدرس إسهاما في حقل الدراسات الأدبية، سائلا الله العون والتوفيق.

وقد اشتملت دراستى على ما يلي:

– **مقدمة:** وفيها بيَّنت أهمية هذه الدراسة، وما سبقها من دراسات.

– **تمهيد:** وفيه تناولت حياة مرسي شاكر الطنطاوي،و ذلك من خلال ما كُتب عنه في معجم البابطين، وما استشعرته من دواوينه.

– **الفصل الأول التجربة الشعرية وفيه:** تناولت التجارب الشعرية لدى مرسي شاكر الطنطاوي من خلال: شعر الطبيعة/ الشعر الوطني/ الشعر الاجتماعي/ شعر المديح/ شعر الرثاء/ الشعر الديني/ شعر الحب.

– **الفصل الثاني : الظواهر المعجمية وفيه:** تناولت الظواهر اللغوية في نتاج مرسي شاكر الطنطاوي من خلال مفرداته المتنوعة.

– **الفصل الثالث الظواهر الأسلوبية:** وفيه تناولت الظواهر الأسلوبية المتنوعة لدى شاعرنا، كالتقديم والتأخير، والتكرار، والحذف، والمقابلة، إلى آخره.

– **الفصل الرابع الصورة الشعرية وفيه:** تناولت الصورة الشعرية لدى شاعرنا من خلال: مصادرها/ أنواعها / خصائصها.

– **الفصل الخامس الموسيقا وفيه:** تناولت الموسيقا في شعره : الخارجية والداخلية.

– **الخاتمة وفيها:** بيَّنت ما توصلت إليه من نتائج.

تمهيد:

قبل أن نشرع في دراستنا لنتاج مرسي شاكر الطنطاوي من المفيد والضروري إلقاء الضوء على ظلال من حياته، حتى نتعرف عليه وعلى مشوار حياته، لما لذلك من أهمية بالغة، فحياة الشاعر بما فيها من ظروف أحداث واهتمامات تترك أثرها على نفسه وأسهمت في تكوينه شاعرا، ومن ثم نستشعرها في نتاجه.

ولد مرسي شاكر الطنطاوي عام ثلاثة وثمانين وثمانمائة وألف للميلاد، وذلك يوافق العام الأول بعد الثلاثمائة والألف للهجرة، وتوفي عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد، وذلك يوافق العام الثالث والتسعين بعد الثلاثمائة والألف للهجرة وبين المولد والوفاة مشوار حياة: "مرسي شاكر الطنطاوي: (١٣٠١هـ/ ١٣٩٣هـ، ١٨٨٣مـ/ ١٩٧٣مـ).

- مرسي خورشيد محمد شاكر الطنطاوي:

ولد في مدينة طنطا، وتوفي في مدينة بنها (محافظة القليوبية)، وحفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة الإنجليزية بإشراف والده، ثم حصل على البكالوريا مكتفيا بها، كما تعلم الفرنسية والإنجليزية فأجادهما، هذا وقد عمل موظفاً بدائرة تفتيش جميل باشا ببنها، ومعلما ببعض المدارس الإلزامية، كما مارس بعض الأعمال التجارية، كما قام بإنشاء أول مدرسة خاصة (مدرسة شاكر الطنطاوي) بمدينة بنها، وكان مديرها حتى أواخر أيامه، كما أنشأ أول مدرسة ابتدائية لتعليم البنات في مدينة بنها١٩٠٩، وقد أسهم في تحرير جريدة «البشرى» التي أنشأها شقيقه حسن، بالإضافة لكونه عضوا مؤسسا في جمعية الشبان المسلمين، والرابطة الإسلامية (ندوة قاسم مظهر)، وجماعة أبولو الأدبية، ومشيخة الطرق الصوفية، وهو مؤسس جمعية زهرة الثقافة التي استمر نشاطها قرابة ربع القرن(١٩٣٠ – ١٩٥٣)، كما أسس جمعية تعمير المساجد.

كما كان يعقد في بيته ندوة للأدب النسائي، كانت ملتقى أديبات مدينة بنها ومثقفاتها، بالإضافة لمساجلاته ومراسلاته على صفحات جريدة «النظام» مع الشاعر رياض إسكندر، والمعروف أنه قد زار محمود سامي البارودي، عقب عودته من المنفى(١٩٠٣) الذي تنبأ له بمستقبل شعري كبير، هذا وقد "لقبه الزعيم جمال عبد الناصر في رسائلهما المتبادلة بأبي الثورات لثوراته المتعددة بداية من عام١٩٠٣، ثم ثورته إثر محكمة دنشواي١٩٠٦، ثم ثورته ضد قانون الصحافة١٩٠٨، وضد مشروع امتياز القناة١٩١١، وثورته ضد المبالغة في الإسراف على حفل زفاف عطية هانم كريمة الخديوي١٩١٣"(١)، ها هي حياة مرسي شاكر مولدا ووفاة وأنشطة أدبية وعامة، لكن ماذا عن الأسرة التي ينتمي إليها؟ وأسرته التي كونها؟ وحياته إنسانا؟ وسماته الشخصية؟ وما الذي أودى به إلى ظلمة النسيان؟

---

(١) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، إعداد : هيئة المعجم، ط ١، الكويت، ٢٠٠٨مـ، م، ٢٠، ص، ١٦٢/ ١٦٣.

لا تزال هذه الأشياء يعتريها الغموض، حتى ما بذله القائمون على معجم البابطين لم تجب ترجمتهم عن أيٍّ من هذه الاستفهامات، فظلت ورغم ترجمته في المعجم تحتار فيها العقول.

ولأنَّ من مهام العمل البحثي الإجابة عن استفهامات حاولت التوصل إلى إجابات لهذه الاستفهامات من خلال ما تشى بها بعض أبياته، خاصة وأنَّ الوصول لأيٍّ من أسرته لم يكن في الإمكان، على الرغم مما قمت به من محاولات.

- الأسرة التي ينتمي إليها:

ينتمي مرسي شاكر لأسرة من أخناويه التابعة لطنطا محافظة الغربية، وكانت تتكون من أب وأُم وأربعة إخوة: ثلاثة ذكور، وأنثى واحدة، على الأقل، فالذكور هم: مرسي و حسن ومحمود.

فمرسي هو شاعرنا، وحسن هو صاحب جريدة البشرى، ومحمود هو الذي دفعه تعاطفه الشديد مع الفلسطينيين في نكبتهم إلى التبرع لهم بثلثي ماله الذي حصل عليه بعد حل الأوقاف الخيرية، وقد توفى في حياة مرسي، وذلك في يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر يوليو سنة ألف وتسعمائة واحدى وخمسين؛ أمَّا شقيقتهم فلم أتوصل إلى معرفة اسمها، وقد توفيت في شبابًها، عقب والدها، وقبل محمود.

لقد كانت أسرة مرسي ثرية، إلا أنَّ الحياة دارت دورتها، وولت وجهها الباسم عنها، وأعطتها الآخر العبوس، ولكن بعد فترة زمنية غير معلومة عادت لهم أموال كانت وقفا تابعا للأوقاف الأهلية.

- أسرته التي كوَّنها:

كوَّن مرسي شاكر الإنسان أسرته التي تألفت منه وزوجته وولدين وربما كان له أكثر من ذلك، كما كان له حفيد على الأقل، وأحد ولديه برهان الدين مات شابا إثر مشاجرة، ورثاه الكثير من الشعراء، وقد كان مرسي شاكر يبحث عن أي مناسبة في قصائدة فيذكر اسمه، مثل: برهان الشجاعة، وهكذا.

أمَّا الآخر فغالب الظن أن اسمه جمال الدين، وظنّي بسبب قصيدة بعنوان: حديث طفلين حول آثار الملك، فكان برهان الدين أحدهما، وال – كما هو واضح من القصيدة – كان اسمه جمال الدين، أمَّا حفيده الذي ثبت وجوده فقد مات في حياته.

- الإنسان:

عاش مرسي شاكر الإنسان حياة قاسية باكية، فبعد ثراء جاء الفقر، وما أصعب الفقر بعد الثراء، وكما ذكرت سابقا فقد عاش فيه فترة زمنية غير معلومة.

هذا على الجانب المادي، فأمَّا الجانب الشعوري؛ فقد لاقى موجات من الأحزان المتتابعة، فعانى كل أحاسيس الفراق ودرجاته المختلفة؛ نتيجة فقد من يحبهم بالموت، فإذا كان الإنسان

يشعر بالفراق نتيجة موت من يحب، فإن إحساسه به يختلف، ودرجته أيضا بحسب من فقد؛ لأنه فقد أباه وأخته وزوجته وابنه وأُمه، وحفيده وأخاه.

- سماته الشخصية:

الواضح أنه كان إنسانا متديِّنا، قريب الصلة بالقرآن الكريم، وهو ما يتَّضح من مفرداته وتعبيراته، كما كان شديد المحافظة فيما يتعلق بحياته الخاصة وأسرته، فبقراءتنا المتاح لنا من شعره والبالغ سبعة آلاف ومائتين وخمسة وسبعين بيتا لا نجد عن زوجته إلا بيتا لا غير، وفيه لم يذكر حتى اسمها، ولا أي شيء عنها، غير أنها ماتت، وهو نفس حال أخته، وأُمه، وإن كان قد تحدَّث عن الأُم ودورها في نتفة من بيتين، وكما نرى لم يخرج أحاسيسه بزوجته حبيبة وخطيبة وزوجة، كغيره من الشعراء، وحتَّى أُمه لم يتحدث عنها قيمة ودورا، كغيره من الشعراء.

ولم يقتصر الأمر على النساء من أهله، فلا نجد حديثا له عن أيٍّ من أهله إلا برهان الدين في قصيدة: حديث طفلين، ومحمود الذي رثاه بقصيدة، التي ذكر فيها الذين رحلوا من أهله عن الدنيا ، وذلك في أربعة أبيات فقط، والتي قدم لها بحديث عن محمود ذكر فيه حل الأوقاف الأهلية، واستعادتهم أموالهم، وتبرعه للفلسطينيين.

- النسيان الذي خيم علي شاعرنا:

على ما يبدو أنَّ مرسي شاكر كما تجنب الحديث عن أسرته في شعره أبعدهم عن حياته شاعرا، فلم تكن لهم صلة بها ومن فيها من شعراء ونقاد ووجهاء، الأمر الذي أدَّى به إلى النسيان بعد موته.

نستطيع أن نقول: إنه أبعدهم في حياته، فأبعدوا أنفسهم بعد موته بذكراه ونتاجه كاملا، فلا يكاد يجد باحث عن نتاجه شيئا إلا في دار الكتب المصرية، حتى مكتبة قصر الثقافة ببنها، ليس له فيها أثر!، بنها تلك المدينة التي عاش فيها حياته!.

الفصل الأول

التجربة الشعرية

- مدخل:

يعيش الشاعر حياته يتفاعل معها، ويتأثر بها وبما فيها، ولاشك أن هذا التفاعل هو الذي يحدث التجارب المختلفة، وهذه التجارب لا تضيع هباء، فإنها تختزن في عقله، ونفسه، بالإضافة إلى ما يحمل داخله من أفكار، ومعتقدات، ومشاعر مختلفة متراكمة متداخله بين حب وبغض، وفرح، وألم، وعرفان واجلال، وتقدير، وغير ذلك كثير.

هذا كله وغيره في إطار تفاعله مع الكون الذي يعيش فيه، ذلك الكون الذي له الدور الذي لا يمكن إغفاله فيما يختمر داخل نفس الشاعر من تجارب، يعبر عنها في نتاجه الشعري: "نقصد بالتجربة الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرا ينم عن عميق شعوره وإحساسه" [1].

وسوف أتناول في هذا الفصل تجارب مرسي شاكر الطنطاوي في نتاجه الشعري التي تنوعت بين: شعر الطبيعة، الشعر الوطني، الشعر الاجتماعي، شعر المديح، شعر الرثاء، الشعر الديني، شعر الحب.

أولا: شعر الطبيعة

تعدُّ الطبيعة أكثر ما يتفاعل معه الإنسان، فهي الأرض وما فيها وما فوقها، والسماء وما تحتها، إذن فهي الحياة الخارجية بمكوناتها.

إذا كان هذا هو حال الإنسان معها بصورة عامة فللشاعر شأن آخر، فإنه يتفاعل معها، يصفها يشكو إليها، يتوحد معها يستلهم منها كل هذا وأكثر، فهي نفسها ذات أحاسيس ورؤى مختلفة لدى الشعراء بل لدى كل شاعر باختلاف حالته النفسية وتجربته، فهي الصديق المؤتمن، والحسناء السافرة عن حسنها، والدميمة التي تأنف العين رؤيتها، والواسعة الشاسعة، والضيِّقة الخانقة، والمواسية للمهموم، والمتلألئة في عيني الفرِح، ويشيع شعر الطبيعة حينما يكون الشعر شعبيا أو يكاد ويقترب من التعبير عن الحوادث اليومية: "على كل حال يرينا تطور الشعر في أوربا في أثناء العصور الحديثة أن شعر الطبيعة إنما يشيع حينما يصبح الشعر أو يكاد وينفصل عن القدماء من يونان وغير يونان وهذا نفسه ما نلاحظه عند العرب فقد نما شعر الطبيعة واتسعت أبوابه حين قرب الشعر من التعبير عن الحوادث اليومية وأصبح أدنى إلي الواقع الحسى، واقع الجماعة على نحو ما نعرف في تاريخ الشعر الأندلسى إذ ظهرت هناك الموشحات والأزجال وظهر معهما شعر الطبيعة" [2].

وقد تفاعل مرسي شاكر مع الطبيعة بأحاسيسه وانفعالاته وأفكاره، ومن ذلك هذا الحوار مع الطبيعة وعنها، وما تمثله بالنسبة له:

---

[1] النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ط ١١، دار نهضة مصر للنشر، ٢٠١٢م، ص ٣٦٠.

[2] الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، ط ١٣، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص ٢٠٩.

هـــل قلـــدتكَ محاســـنُ الإنشـــاءِ مـــن جـــوهرِ الملكـــوتِ عقـــدَ ضـــياءِ؟
فإليـــكِ أيّتهـــا الطبيعـــةَ لمحـــة تَـــروي حـــديثَ الشـــوقِ مـــن أنبـــاءِ
كـــالرّوضِ في عهـــدِ الربيـــعِ إذا احتســـى راحَ الـــــنميرين النـــــدى والمـــــاءِ (١)

صو ر مرسي شاكر الطبيعة بشراً سويا وحاورها بأسلوب خبري فها هي مطوقة العنق بعقد نوراني منحتها إياه وجمعت جواهره ونظمتها من الكون محاسن الإنشاء وبعد هذا الحديث الخاطف عن محاسن الإنشاء عامة يتجه مرسي شاكر إلى الحديث عن نفسه خاصة فيقدم للطبيعة لمحة ذاتية تعبر عنه وما يختبئ في أغوار نفسه، لمحةٌ بارتدائها رداء الشعر تنبض بالحياة المتألقة في جمال أخّاذ كالروضة إذا ما هلّ عليها الربيع وأفاض عليها بنداه ومائه فإنها تكون حين إذ المستمتّعة الممتعة.

– لنمضي مع مرسي شاكر لنَرى لمحته من وإلى الطبيعة:

فلـــئن حويـــتِ الخـــافقَين كليهمـــا لقـــد احتوتـــكِ خـــواطرُ الشُـــعراءِ
قـــد أكـــبروكِ فمـــا يُبـــالغُ معشـــرٌ إن لقبـــوكِ بعلّـــةِ الأشـــياءِ
وتســـابقتْ فيـــكِ الظنـــونُ فمَـــن لهـــا بحقيقـــةٍ دقّـــتْ عـــن الفهمـــاءِ (٢)
وجـــلا التأمّـــلُ فيـــكِ أبهـــرَ حكمـــةٍ ســـطعتْ بنـــورِ اللهِ في الأحيـــاءِ
تسترســـلُ الأشـــباحُ فيـــكِ بمظهـــرٍ يَـــذَرُ الحكـــيمَ مُقَسّـــمَ الآراءِ (٣)

بدأَ مرسي شاكر لمحته بجولة بين فئات من الناس لكلٍّ منهم نظرته للطبيعة ورؤيته، فتحدَّث عن الشعراء الذين احتووا الطبيعة بما فيها بخواطرهم الشعرية تلك الطبيعة الشاسعة التي احتوت الشرق والغرب، والفلاسفة الذين لقبوها بعلّة الأشياء، والذين يحاولون فهمها وفك رموزها وأسرارها، والمتدينين الذين يرون حكمة الله وبدائع صنعه بتأمُّلهم فيها.

إنها الطبيعة: أفكار من يُفكر فيها كالأشباح بلا ملامح، أو معالم تنطلق بلا حدود، أو عوائق، لكنها تظل أفكارا لا تتمخض عن آراء واضحة محددة حتى الحكيم يظل بعد استرسالها وإطلاق العنان لها مقسَّم الآراء فيها، ومن هؤلاء المتأمِّلين إلى عامة الناس فقال:

والنـــاسُ في خطـــرِ الحيـــاةِ وعيشـــهم في ذاهـــبٍ بالحادثـــاتِ وجـــاءِ
يتنـــازعونَ العاريـــاتِ وخيرهـــم مَـــن قـــامَ في الـــدنيا علـــى اســـتحياءِ
يـــومي إلى صـــحفِ الوجـــودِ بنظـــرةٍ فـــيرى وجـــوهَ الحـــقِّ صـــورةَ راءِ
يرمـــي بـــه البَـــرُّ الفســـيحُ إلى مـــدى آفاقـــه مـــن آهـــلٍ وخـــلاءِ
ويـــرده الفلـــكُ المـــدارُ لراحـــةٍ طـــورا وطـــورا لاتصـــالِ عنـــاءِ (٤)

(١) ديوان نفحات الربيع، مرسي شاكر الطنطاوي، د ط، مصر، مطبعة الروايات الجديدة، د ت، ص ١٢.
(٢) السابق، ص ١٢.
(٣) ديوان نفحات الربيع، مرسي شاكر الطنطاوي، ص ١٢/ ١٣.
(٤) السابق، ص ١٣/ ١٤.

يتحدث مرسي شاكر في هذه الأبيات عن عامة الناس في حياتهم فهم منخرطون في الحياة منشغلون بهموم العيش يروحون ويجيئون مع الحياة بأحداثها في صراعٍ وسباقٍ دائمين، وإذا كان هذا هو حال الناس في الحياة فمن خيرهم؟

يخبرنا شاعرنا أن خير الناس من قام في الدنيا على استحياء أي يسعى فيها دون أن يلهث وراءها، فإنه يدرك قدرها الحقيقي، فإنه المتأمِّل الواقف على حقيقتها، فهي ذات الوجهين: (آهل وخلاء) وما إن ينته من تأمله ويعود إلى واقعه فإنه يعيشه بين راحة وعناء.

وإذا عـدت بالشّـمس عاديـة الـدُجَى ... وأقلّهـا في الغـربِ نطـعُ دمـاءِ
وتبـادرتْ فـرقُ الظـلام نوادبـا ... بـالأفق تـنهضُ في مسـوحِ عـزاءِ
وهفـتْ بـذاتِ الرّجـعِ أنّـةَ مـوحشٍ ... فاسـتعبرتْ بالشـهبِ عـينُ بكـاءِ [1]

ينتقل مرسي شاكر بلمحته إلى الليل ويبدؤه بغروب الشمس ففيه يكسوها اللون الأحمر فتختفي ويحل الظلام.

في هذه الصورة التشخيصية جاءت الشمس إنسانة بريئة سيقَت إلى الإعدام فأُريقَ دمها فاستبيحت حياتها، وانتهت هذه النهاية المأساوية التي لا تستحقها، فهي التي تفيض بخيرها على كل الكائنات، لذلك كان موكب جنازتها موكبا مهيبا شاركت فيه ظلمات الليل متتابعات لكثرة المشيِّعين وعظم قدر المشيَّعة، نادبات عليها حزنا وألما.

هذا هو الحال عدمت الشمس، وذهب الجميع لتشييعها فصارت السماء مكانا موحشا ليس فيه إلا أنينه وبكاء مفعم بالعبرات.

أنّـي لمحـتُ فـثمّ عقـد مـدامعٍ ... أو نقـشَ مـاسٍ في تريـبِ [2] **فضـاءِ**
أو رقـمَ نـورٍ في غلائـلَ روضـةٍ ... مطلولـةٍ بمـدامعِ الأنـواءِ [3]
وهفـتْ بـذاتِ الرّجـعِ أنّـةَ مـوحشٍ ... مـدّتْ إليهـا الـريحُ كَـفّ عطـاءِ
أرغـى بنـوءِ اليـاسمين عبابهـا ... فتموجـتْ بالفضّـةِ البيضـاءِ
يزهـو ويهـذي بـالعيون جمالَهـا ... وجلالهـا والمجـدُ للحكمـاءِ
تلـك النجـومُ الشّاخصـاتُ كأنمـا ... ترنـو إليـكَ بـأعينِ الرقبـاءِ
حتـى إذا كبـت الثّريـا وانـبرى ... ببنـاتِ نعـشٍ منسـمِ الجـوزاءِ
وحـدا بهـا شـفقٌ يـدبّ علـى الـدجى ... متمـاثلا مـن وصـمةِ الرحضـاءِ
ينسـابُ في عـرضِ السـماءِ كأنّـه ... مـاءٌ يـرفّ بسـرحةٍ لفـاءِ [4]

---

[1] ديوان نفحات الربيع، مرسي شاكر الطنطاوي، ص ١٤.
[2] الترائب: موضع القلادة من الصَّدر، وواحدها تريب. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن عبد الرزَّاق الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهدايا، مادة ترب.
[3] النَّوْء: النجم إذا مال للغروب. السابق، مادة نوأ.
[4] ديوان نفحات الربيع، مرسي شاكر الطنطاوي، ص ١٤/ ١٥.